تأثير المهاجرة

على العقول القاصرة

(يوسف وندى بين اميركا والشام)

نظم جناب نقولا افندي الحداد

هي حكاية حال رجل متزوّج هاجر من الشرق الى اميركا ووصف تأثير اميركا على نفسه وعلى أخلاقه ادبياً وبسيكولوجياً . وليس هذا التأثير عاماً بل خاصاً تبعاً لاستعداد النفس له . لان المهاجرة على وجه الاجمال ترقي اكثر المهاجرين وتجعلهم افضل مما كانوا قبلها من عدة وجوه وان كان هناك امور سيئة كثيرة تحق الشكوى منها

لعينيكِ مشغوفَ الفؤاد الملوّعِ ... فلا تفطريـي قلبي بهذا التفجعِ
ادمعاً واشراقُ ابتسامكِ مغنم ... اضحي له بالمقلتين ومسمعي
اعيذكِ يا معنى حياتي من الاسى ... وافديكِ من شر المصاب المصدّعِ
فقالت وقد عادت يجد بها البكا ... وتُغرق فيه مثل طفلٍ مروّعِ
أتحبس عيناي الدموعَ دوافقاً ... ويبقى فؤادي هادئاً بين اضلعي
اذا انتَ ازمعتَ الرحيلَ وبيننا ... بحارٌ وبلدانٌ وعهد تضعضعِ (١)
وشرٌّ شماتٍ بالتي بك أُولعت ... وشذّت على رغم الاب المتمنّعِ
فما جهدُ ذاتِ الخدرِ في الشرقِ ان دجا ... عليها الشقا يوماً سوى ذرف ادمع

***

فقال لها والحزن يسحق قلبه ... وحرمة عهدٍ قط لم يتزعزعِ
وعينيكِ والمعنى المردّدِ فيهما ... بمسمعِ قلبي الفاهم المتسمّعِ
لاجلك ابغي السعي للرزق والثرا ... واجهد نفسي فيه اجهادَ مزمعِ (٢)

(١) الذلّ والفقر

(٢) ثبات العزم على الامر ولا يكون بمعنى العتيد كما يظنون (محيط المحيط)

الم تنظري ان الحياة هنا غدت تسيرُ مسيرَ القانط المتفزّعِ
وقد كفرت هذي البلاد باهلها فتأبى عليهم ايّ ريٍّ ومشبعِ
تميد بهم ميد الحرون تغيظاً اذا ما امتطاه فارس غير اروعِ
وتقذفهم للغرب تحت يد القضا وتدفعهم في البحر اي تدفعِ
الم تعلمي إن الزمانَ لضيقٌ بحالتنا والعصر عصر توسّعِ
ومورد هذا الرزق اصبح ناضباً على حين ان الآن عهد التمتعِ
دعيني اذاً امضي الى حيث اهتدي الى موطن عذب الموارد ممرعِ
فاطلقَ للنفس الطموع عنانها لتجريَ كما تبغي وراء كل مطمعِ
واجمعَ من مجنى العزيمة ثروة وارجع في عامين افضل مرجعِ
وننفقَ انفاق الكرام ونقتني رياشاً ونختارَ الذرى خير مرتعِ
وتُكسي جلابيبَ الحرير ثمينةً ونقني نفيسات المصوغ المرصّعِ
ونقضي حياة العز والصفو والهنا ونأمن يأسَ المُعْدِمِ المتوقعِ
فقالت له اقضي اذا طال ذا النوى وما من عزاء فيه غير التفجّعِ
فقال لها لا عشتُ الاّ معذّباً اذا كنت اسلو ما تركتُ وما معي (١)
اما انا في حبيكِ إرثي فقدتُهُ وخاصمتُ اصحابي وغاضبتُ مربعي
فدونك مني كل شهر رسالةً مدبجةً بالاصفر المتنوّعِ
وعانقها مستعطفاً متحبّباً وقبّلها يبكي بكاء المودّعِ

***

مضى وهي مدلاةٌ بخيطٍ من الرجا ضئيلٍ الى جبٍّ من البؤس مُترَعِ
تهبُّ عليها النائبات عواصفاً مهدّدةً خيط الرجا بالتقطعِ
مضت اشهرٌ لم يأتِ من بعلها سوى كتابٍ وجيزٍ بعدَ طولِ التوقّعِ
واثقلها الحملُ المبرّحُ منذراً باهوالِ وضعٍ مؤلمٍ ومروّعِ
ووافى لها غلاّ شديداً وليدُها فعزّ عليها الرزق من ايّ مصنعِ
فباعت حلاها والعقار ولم تدع سوى عرضها الباقي وديعة مودع
تنازعها المغوونَ والفقرُ والعنا ولكنها استقوَت بجبٍّ مضيّعِ

(١) اي اذا كنتُ اسلو قلبي الذي تركته معكِ وقلبكِ الذي معي

وظلّت تصد النائبات شجيعة وتلقى عزاء في الدعا والتضرّع

***

وهاجر للارض الجديدة يوسف كهجرة اهل العُدم من كل بلقعِ
فاذهله فيها مفاخر اهلها غرائب لم تخطر على بال اصمعِ
وشاهدهم يجرون خلف رياها سباقاً سراعاً جريَ مربٍ مفزّعِ
فيصطدم العمال في كل منتحى تصادمَ جيشٍ في الوغى متدفّعِ
ويُصرع مكسالٌ ويسقط عاجزٌ فتسحقه اقدام كل مميذعِ
وينتهب المحتالُ من كف كادحٍ ويدّخرُ المطماع من فم أقطع
ويستاقُ ذو المال الفقير فيغتدي على عملٍ تشقى به ذاتُ اربع
وينعم معتزًّا بمعظم ربحه ويعطيه بعضَ الاجرِ كالمتبرّع
وتخرج من اخدارهن نساؤهم يتنازعنَ اهل السعي في كل موضع
فيا لك جيلاً ما له من عواطفٍ ولولا اقتضاء الرزق لم يتجمّع
ويا لنظامٍ صامتٍ بات اهله يدورون فيه مثل آلات مصنع

***

رأى كل هذا يوسفٌ متحيّرًا ولم يرَ بدًّا من وجوب التتبع
فاسرع خلف القوم يبغي دراكهم فادركهم في منزعٍ إثر منزع
نما فيه حب النفس لكن ضميره قضى فاظلّ الحق في ظلّ برقع
وكان له قلبٌ بلين كشمعة متى مسّه الفكر المؤثر يُطبَع
وتصهره نار الحنان اذا ذكت ويفريه صوت البائس المتضرع
فقسّته فيه عبرة بعد عبرة وامسى كصخر بين كفي موقع
يردّد نفس الصوت مع اي عازف سواءٌ بحالي فرحة او توجع
وباع بحب المال كلّ فضيلة وثمّ غدا ذا متجرٍ متوسع
وكان غناه موقظاً لغروره وشر غرورٍ ما استتم باربع
ثراءٌ بلا نُبلٍ وسير بلا هدى وحرية مع جاهل وهو مدّع
وقصدٌ الى العليا بغير طريقها وربَّ غرورٍ ينتفي بالتطبع
تهالك في حب الوجاهة والعلى فضاجر اهل الفضل في كل مجمع
وفاخرهم في لبس كل نفيسة يظن التحلّي سلّماً للترفع

ونافسهم في الشرب واللعب والندى واسرف في حب الحسان المصنع

***

وعنّ له ان يستعزّ مفاخرًا ويختال عجبًا بين اهل وارُبعِ
فباع ببخس السعر حانوته الذي تجاهد في انشاه مدّة اربع
وسافر يحدوه التباهي بماله ويبغي بافق الفخر افضل مطلع
فحلّ بدار الاهل كالنعمة التي تحلُّ على اهل التقى والتخشع
وعانقه ابنٌ طالما اشتاق قربه لما عوّدته امه من توقع
وضمته زوجٌ (١) لم تصدق رجوعه وعزّ بلقيا رهطه المتجمع
قضى ذلك العام الطويل مدلّلاً يحفُّ به خلانه اينما دُعي
يتيه عليهم آنفًا متعجرفًا ويشمخ فيهم شمخة المترفع
يعيرهم بالجهل حينًا كانه تلقن كل العلم من فم لوذعي
ويدعوهم همجًا خَلَوا من تمدُّن ويقدحُ فيهم قدح واشٍ مشنع
ويحسب ما يأتي ولو كان منكرًا نموذج ذوقٍ او مثال تورُّع
ويا طالما استزرى (ندى) فتذرّعت الى عطفة منه جميل التذرُّع
فكان يباهيها ببنت اميركا ويمدح هذي شارحًا شرح مصقع

***

وفاخرهم يومًا ببنيان منزلٍ يحف به الزهر الشديد التضوُّع
فانفق في عامٍ جنى العمر كله واصبح ذا عسرٍ ومن قلّ (٢) يخضع
فصمّم ان يرتدّ من حيث قد اتى مخافة ملقى شامتٍ او مقرّع
فهبت اليه زوجه مستشيطة تسدّد في اقعاده كل مقنع
وقالت له حسبي الفراق الذي مضى وما سمتُ فيه من عنا وتوجُّع
فوالله ما غادرتَ دارك لحظة وما انتَ عني باعد قيد اصبع
فقال لها ما لارتحالي ندحة فما عدت ارجو طيب عيشي بمرتعي
وفارقها لا يلتوي لنحيبها وراح ولم يعبأ به من مودّع

***

(١) زوج مؤنثة بمعنى زوجة
(٢) قلّ الرجل اذا نفد ماله او قلّ

ولكن ندى ظلت تهذ ببعلها وتوغل في تفكيرها المتوزع
فخامرها ظن اطار صوابها واذكى بها وجد الغيور الملوّع
فما لبثت ان سافرت تستفزها بلابل لبّ موجس متضعضع
وقد باغتته ساكناً مع خليلة يدللها ما شاء تدليل مولع
ويبذل في ارضائها جني كفه وما لندى في قلبه شبه موقع
فما عتمت ان بادرت بمسدّس تزمجر غيظاً مثل ليث مجوّع
وقد افرغته فيهما وغليلها يروّيه مرأى مصرع تلوَ مصرع
ويوم القضا احتجّت وكان احتجاجها كقاعدة في حكم كل مشرّع
اذا خانني من رام مني امانة ودنّس عرضي من بغى طهر مضجعي
تحلل لي نفسي اقتضاب حياته واي فظيع لا يكافا بافظع

مناظرة في التفاضل والمساواة

ردّ جناب نقولا افندي الحداد

لم اتوقع ان يوءمن القراء الكرام على كل رأي ابديه في هذا الموضوع الذي كتبت فيه ثلاث مقالات في الجامعة الغراء لانه موضوع حيوي اجتماعي يمس كل طبقة من الهيئة الاجتماعية بل كل فرد من المجموع فلكل فرد رأيه الخاص فيه على انه اذا تأمل القارئ ما كتبته ادرك ما ادركه منشئ الجامعة من اني لم ابد رأياً في اي الوجهين احق — التفاضل او المساواة . وانما شرحت الواقع منهما مما قضت به طبيعة الحال واظهرت في بعض المواضيع استحساني لاحقية ما هو جار ولا انكر ان ما كتبته دار بالاكثر على بيان التفاضل واستحسان بعض مواضعه على ان السبب في ذلك ان المساواة امرٌ بديهي وهي اسبق من التفاضل في الطبيعة فلا تستوجه النظر ولكن التفاضل ينشأ من تنوعات الطبيعة وتفاوت مظاهرها فينبه الذهن اليه ولهذا لا يفطن الناس للمساواة الا متى راوا تفاضلا واذا راموا اثباتها حملوا على التفاضل